

٨ - تفسير الأحلام

للمعونة سيمون فروير

سلسلة محاضرات ألقاها في فيينا

للأستاذ محمد جمال الدين حسن

الرموز في الرؤى

رأينا أن التحريف الذي يموقنا عن الفهم الصحيح للأحلام ينشأ عن النشاط الذي تبذله الرقابة للتغلب على الدفقات اللاشعورية لرغبات لا تقرها الذات ، بيد أننا لم نجزم بأن الرقابة هي العامل الوحيد المسئول عن التحريف ؛ والواقع أن دراسة أخرى للأحلام ترى أن هناك عوامل غير تشارك في هذا التأثير ، بمعنى أنه حتى على فرض أن الرقابة رفعت عن الأحلام فإننا مع ذلك لن نتمكن من الوقوف على معناها ولن يأتي المحتوى الظاهر مطابقا للمحتوى الباطن .

وهذا العامل الآخر الذي يتسبب في غموض الأحلام والذي يساعد على زيادة التحريف ، يتجلى لنا عندما نلاحظ أن هناك ثغرة في طريقتنا التي استخذناها في التفسير . فقد سبق أن سلمت لكم بأن هناك حالات قد لا يجد فيها الأشخاص الذين نحملهم أفكارا مترابطة لديهم لبعض عناصر الحلم . ومن الحق أن هذه الحالات لا تقع بالكمية التي يزعمونها في معظم الأحيان قد نتمكن من الوصول إلى تبيان الأفكار المترابطة بالكسد والثابة ، ولكن هناك مع ذلك بعض حالات معينة يتحقق فيها الترابط اخفاقا كلياً ، أو نجد أن الشيء الذي نستخرجه أخيراً بالمنوة ليس هو ما نحن في حاجة إليه . وهذه الحالة عندما تقع أثناء العلاج بالتحليل النفسي فإنها تدل على مغزى معين لا يهمننا فيما نحن بصددده هنا ؛ ولكنها تقع كذلك في أثناء القيام بتفسير أحلام الأشخاص الماديين أو عندما تقوم بتفسير أحلامنا الخاصة . فإذا اقتننا في مثل هذه الحالات بأنه لا فائدة ترجى من الحث والإلحاح ، فإننا قد نكتشف أخيراً أن هذه الحالات التشابهية تظهر على غير ترحيب منا كلما كانت بعض العناصر الخاصة تحت الاختبار ؛ ومن ثم نبداً في إدراك أن هناك قاعدة جديدة تعمل عملها بينما كنا نظن في

مبدأ الأمر أننا صادفنا فقط حالة شاذة أخفقت فيها طريقتنا في التفسير .

وهذا يؤدي بنا إلى محاولة تفسير هذه العناصر « الخرساء » والاستمانة على ترجمتها بالرجوع إلى مصادرها الخاصة . ولا شك في أننا سندعش كثيراً عندما نجد أننا نستمكن ، في كل مرة نقدم فيها على هذه الطريقة ، من الوصول إلى معنى مقنع بينما يظل الحلم مفككا لا معنى له ما دمنا لم نعقد العزم على استخدامها . وتجميع كثير من أمثال هذه الحالات التشابهية يشد من أزرنا إذ أننا قد أقدمنا على التجربة في مبدأ الأمر في تهيب ووجل .

وبهذه الطريقة سنصل إلى ترجمة ثابتة لسلسلة من عناصر الحلم ، كما هو الحال في الكتب العامة عن الأحلام حيث نمث على مثل هذه التراجم لكل شيء يحدث في الحلم تقريباً . ولعلكم لم تندوا بعد أننا عندما كنا نطبق طريقة الترابط المطلق لم تكن تقابل مثل هذه التراجم الثابتة لعناصر الحلم .

أظنكم ستقولون الآن إن هذا النوع من التفسير يبدو لكم أنه أقرب إلى الشك وأكثر تعرضاً للنقد من طريقة الترابط المطلق السابقة ، ولكن مهلاً ! فنحن لم نفرغ بعد كل ما في جيبتنا ؛ فنحن عندما يتجمع لدينا من التجارب الواقعة عدد لا بأس به من أمثال هذه التراجم الثابتة ، فإنه يتحقق لدينا بمصفة قاطعة أنه كان في إمكاننا فعلاً أن نعلم هذه الثغرات في التفسير إذا رجعنا إلى مصادرها الخاصة ، وإننا كنا في الحقيقة سنصل إلى معناها في غير ما حاجة إلى الأفكار المترابطة للشخص الحالم .

وهذا النوع من الملاقة الثابتة بين عنصر الحلم وترجمته يطلق عليه علاقة « رمزية » أما العنصر نفسه « فرمز » للفكرة اللاشعورية التي يعبر عنها الحلم . تذكرون أنني سبق أن قلت لكم عندما كنا نبحث في الملاقات المختلفة بين عناصر الحلم والأفكار الباطنة التي تستر وراءها أن هناك ثلاثة أنواع من هذه الملاقات وهي : الاستماسة بالجزء عن الكل ، والإشارة أو التلميح ، والتتميل البصري . وقد قلت لكم عندئذ إن هناك علاقة رابعة ولكني لم أرين لكم نوع هذه العلاقة ، أما الآن فإنني أقدمها إليكم وهي « الرمزية » . وهذه العلاقة يرتبط بها كثير من النقط الهامة التي تصلح للدراسة ، وعلى هذا فسوجه إليها التفاتنا قبل أن نضع أمامكم ملاحظاتنا الخاصة عن الموضوع . فالرمزية قد تكون

ولامى وقف خاص عليها ، وثانيا إن استخدام الرموز في الأحلام ليس من الاكتشافات التحليل النفسى ولو أن هذا العلم لا تموزه الاكتشافات الغربية . وإذا كان لأحد في المصرا الحديث أن يدعى الأسبقية في هذا المضمار ، فهو بلا شك الفيلسوف « شرزر » وقد جاء التحليل النفسى فمزرك اكتشافه ، وإن كان قد عدل في بعض النقط الهامة .

أظنكم ترغبون الآن في معرفة شيء عن طبيعة الرمز في الأحلام وتودون الاطلاع على بعض الأمثلة . وإنى ليسرني أن أقدم لكم كل ما أعلم عن هذا الموضوع ، ولكنى أعترف أمامكم أن معلوماتنا في هذا الشأن أقل مما كنا نرغب فيه .

العلاقة الرمزية في أساسها علاقة مقارنة ولكنها ليست مقارنة من أى نوع كان ، فنحن نشبه في أنها تخضع لشروط معينة ولو أننا قد لا نستطيع أن نحدد بالضبط نوع هذه الشروط . فليس كل ما يمكن مقارنته بشيء أو حادث ما يظهر في الأحلام على شكل رمزه ، كما أننا نجد من ناحية أخرى أن الأحلام لا تستخدم الرمز لأى شيء كان بل تستخدمها فقط لعناصر خاصة من الأفكار الباطنة ؛ أى أن هناك تحديدا من الناحيتين . ويجب علينا أن ندرك كذلك بأننا لا نستطيع في الوقت الحاضر أن نحدد بالضبط معنى الرمز كما تتصوره ، فهو يبدو أحيانا كاستعاضة عن شيء أو تمثيل له ، بل كثيرا ما يقترب جدا من الإشارة والتلميح . وقد يكون من السهل علينا في بعض الأحيان أن نتبين على الفور المقارنة التي بنيت عليها الرموز ولكن هناك حالات أخرى نحتاج فيها إلى البحث والتدقيق لمعرفة العامل المشترك الذي يدخل في هذه المقارنة المفروضة . وهذا العامل قد يظهر لنا إذا أعدنا النظر مرة أخرى ، كما أنه قد يظل محجوبا عنا إلى الأبد وإذا كانت الرموز عبارة عن مقارنة فعلا ، فإن مما يستلقت النظر حقا أن هذه المقارنة لا توضح لنا من عملية الترابط المطلق ، وأيضا إن الحالم لا يعرف عنها شيئا وإنما يستخدمها في غير وعى منه ، بل إنه ليذهب إلى أكثر من هذا فيأبى أن يعترف بها عندما توجه نظره إليها . ومن هذا ترون أن العلاقة الرمزية عبارة عن مقارنة من نوع خاص طبيعته غير واضحة لنا تماما ، وربما كان في استطاعتنا فيما بعد أن نمسح على بعض الأدلة التي تلقى قليلا من الضوء على هذه الصفة المجهولة .

محمد جمال الدين حسن

(يتبع)

أهم جزء في نظريتنا عن الأحلام .

نرى قبل كل شيء أن الرمزية بما أنها علاقة ثابتة لا تتغير بين الرمز والفكرة التي يرمز إليها ، فهي بذلك تحقق على نحو ما الفكرة القديمة والفكرة المامية عن تفسير الأحلام ، وهي الفكرة التي بعدنا عنها كثيرا في طريقتنا في التفسير . فالرموز قد تجمل من السهل علينا في بعض الأحيان أن نفسر الحلم دون استجواب صاحبه الذي لا يستطيع في الحقيقة أن يدلنا بأية حال من الأحوال على ماهية هذه الرموز . فإذا قدر لنا أن نقف على معنى الرموز التي تظهر كثيرا في الأحلام ، وأن نلم بشيء عن شخصية الحالم والظروف التي تحيط بحياته ، والتأثيرات العقلية التي أعقبتها حدوث الحلم ، فإننا غالبا ما نجد أنفسنا في مركز يسمح لنا بتفسير الحلم فوراً ، أو قل ترجمته من أول نظرة . ومثل هذه المهارة بلا شك ترضى غرور الشخص الذي يقوم بالتفسير كما أنها تستأثر باعجاب الحالم ، فتمت فرق شاسع بين هذه الطريقة السهلة وبين الطريقة الشاقة التي تعتمد على استجواب الشخص الذي رأى الحلم . ولكن حذار من الاندفاع وراء هذا الرأي ، فالشعوذة ليست جزءا من العمل الذي نقوم به ، كما أن هذه الطريقة التي تعتمد في التفسير على معرفة بالرمزية ، لا تستطيع بأية حال من الأحوال أن تحل محل طريقة الترابط الطاق أو حتى تقارن بها ، فهي متممة لها والنتائج التي تستخلص منها لا تصبح ذات فائدة إلا إذا طبقت بالاشتراك مع الترابط المطلق . وفضلا عن ذلك فيجب أن لا يغيب عن بالكم أنكم لا تقومون فقط بتفسير أحلام الأشخاص الذين تعرفونهم حق المعرفة ، بل المفروض أنكم كقاعدة عامة لا تعلمون شيئا عن آثار اليوم السابق التي حركت الحلم وأن الأفكار المترابطة للشخص الحالم هي المصدر الوحيد الذي نستطيع أن نحصل منه على معرفة ما نسميه بالحالة العقلية .

ومما يستحق النظر بوجه خاص أن هناك ممارسة قوية ضد هذه الفكرة القائلة بوجود علاقة رمزية بين الحلم واللاشعور ؛ فكثير من الأشخاص الذين اتصفوا بمحافة الرأي ومن ساروا التحليل النفسى في كثير من النقط الأخرى قد عادوا فتنصلوا من آرائهم عند هذه النقطة . وهذا السلوك فديستغرب كثيرا عندما نتذكر شيئين اثنين ، أولا أن هذه الرمزية ليست ماسكا للأحلام